PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(10): 955-966
ISSN: 1553-6939

The presence of realistic socialist commitment in the novel (The Novel "Mother" by Maxim Gorky as a Case Study)

Soulef Zerari[1], Kechiche Hachemi[2]

[1,2]University Abbès Laghrour Khenchela, Faculty of Arts and Languages (Algeria).

The Author's E-mail: soullefzerari@gmail.com[1], kechiche@univ-khenchela.dz[2]

Received: 04/2024 **Published: 10/2024**

Abstract:

Commitment to various issues has been prominent in critical and literary writings for a long time, captivating both Western and Arab critics. Their perspectives on engagement vary according to their different orientations and schools of thought. This concept has been particularly emphasised by several movements, especially socialist realism, which has brought it to the fore due to its inseparable connection with the democratic socialist working class movement. In the Russian literary work "Mother" by Maxim Gorky, we aim to explore the meaning of the term and all the concepts, principles and types that emerge from it, according to the doctrine of socialist realism.

Keywords: Commitment, Socialist Realism, Mother, Maxim Gorky, Communism, Proletariat.

حضور الالتزام الواقعي الاشتراكي في الرواية (رواية الأم ماكسيم غوركي نموذجا)

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(10): 955-966
ISSN: 1553-6939

سلاف زراري[1]، هاشمي قشيش[2].

[2،1]جامعة عباس لغرور خنشلة، كلية الآداب واللغات (الجزائر).

الملخص:

حضر الالتزام بقضاياه وبأنواعه في الكتابات والإبداعات النقدية والأدبية على مدى طويل وواسع، فشغلت قضية الالتزام النقاد الغرب والعرب، وتعددت رؤاهم له بتعدد توجهاتهم ومذاهبهم ، فطرح من قبل عدة تيارات بخاصة الواقعية الاشتراكية ، حيث أوصلته للذروة لأنه يرتبط ارتباطا لا ينفصم عن حركة الطبقة العاملة الاشتراكية الديمقراطية ، وفي عمل أدبي روسي "الأم" لمكسيم غوركي نسعى من ورائه استعراض دلالة المصطلح، وكل ما يتوالد في محاضنه من مفاهيم ومبادئ وأنواع ، حسب المذهب الواقعي الاشتراكي .

الكلمات المفتاحية: الالتزام، الواقعية الاشتراكية، الأم، مكسيم غوركي، الشيوعية، البروليتاريا.

مقدمة:

إن الصلة الوثيقة بين الأدب والحياة لها من الأثر في إكساب كلمة الالتزام مفهوما متميزا، لا على مستوى الأدب العربي، بل على مستوى الآداب العالمية، ودعوة الالتزام قديم في الفكر الإنساني، فقد نادى بها الكتاب والأدباء القدماء والمحدثين وصرحوا بالتزام الأديب بالمبادئ الإنسانية والفضيلة والهداية وتوجيه الجيل والمجتمع والفرد إلى الخير وإبعاده عن الشر،

1 – ماهية الالتزام:

ظهرت الدعوة إلى ارتباط الفن بالواقع الإنساني والاجتماعي حتى يؤدي غايته في نشر الفضيلة ومحاربة الانحلال الخلقي، ومن هذا المنطلق تطل علينا تعريفات متنوعة لمصطلح الالتزام فهو كما يرى الناقد ماهر فهمي" يمثل موقفا يتخذه الأديب واعتقادا يدين به ونظاما يجاهد له، وبعبارة أوضح دعوة سياستهينادي بها أو مبدأ أخلاقي يتبناه أو عقيدة دينية يتولى الدفاع عنها"[1]، فالالتزام عنده مرتبط بموقف يتخذه الأديب، في مجال السياسة أو الدين أو الأخلاق وبه يتمسك ويتحمل أعباء ذلك التمسك.

مسايرةللتعريف السابق نجد الكاتب وليد قصاب عرفه بقوله : "هو التعبير عن موقف فكري أو عقدي يتبناه الأديب ويدافع عنه"[2] ، فهو يرجع قضية الالتزام إلى اتخاذ موقف يكون فكريا أو دينيا، ويتحمل تبعات ذلك فيدافع عنه، ويعني أصحاب الالتزام "أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون في أعمالهم الفنية ، بمبادئ خاصة وأفكار معينة، يلتزمون بالتعبير عنها والدعوة إليها ويقربونها إلى عقول جماهير الناس ،

[1]أنيس حسام النعيمي، الالتزام والإبداع الفني في الشعر الإسلامي المعاصر ، دار مجدلاوي ، عمان، ط1، 2014، ص 66.
[2]المرجع نفسه، ص 66.

ويحببونها إلى قلوبهم"[3] فالأديب بهذا المعنى سواء أكان شاعرا أو كاتبا صاحب رسالة إنسانية، سياسية أو اجتماعية أو دينية وحتى وطنية ، ينبه ويشرح ويوجه ، ويحث على تلك القضية بحيادية، ومنه تعددت معاني الالتزام كل حسب ثقافته وفكره وميوله واتجاهاته .

إن الالتزام قضية نقدية تحمل في أحشائها بعدا إنسانيا واجتماعيا محضا تعكس المجتمع ووعيه ، وهو ما يأخذه الأديب كحجر أساس لبناء نصه "ودعت إلى هذا نظرية الفن للمجتمع أي : على الفنان والأديب أن يخدم مجتمعه بأدبه ، ويسخر فنه خدمة لقضاياه ، ودعت إلى ذلك نظرية الفن للمجتمع بعض المدارس مثل مدرسة الواقعية الاشتراكية ، كذلك دعت إليها بعض تيارات الفلسفة الوجودية كالتيار الذي يمثله **جان بول سارتر**"[4] ، فدعاة هذه النظرية يرون أن للفن والأدب أهدافا اجتماعية وأخلاقية، تتمثل في التعبير عن قضايا المجتمع ومطالبه، ومثله العليا والعمل على رقي المجتمع وتقدمه، ومن هنا ارتأينا أن نضع المصطلح في قوقعته المذهبية .

2 – المصطلح في سياقه الحضاري والمذهبي:

جرى استخدام مصطلح الالتزام في ميادين النقد الأدبي المعاصر وأوساطه المختلفة، باختلاف المذهبيات والمبادئ التي تقوم عليها المذاهب النقدية الحديثة، فلكل مذهب نقدي من تلك المذاهب موقفه المبني على فهمه الخاص لمصطلح الالتزام، في ضوء مبادئه التي يقوم عليها، وأهدافه ومقاصده التي يسعى إليها ومن ثم اختلف الموقف من مصطلح الالتزام، واختلف كذلك مفهومه لدى هذه المذاهب التي جرى في محيطها استخدام هذا المصطلح.

2 – 1 – دلالة المصطلح في المذهب الوجودي:

يعد المذهب الوجودي من أهم المذاهب التي نادت بالالتزام "إذ هم من دعاة الالتزام المتحمسين له وزعيمهم **سارتر**"[5]، وطالب **سارترا**"لأديب بالالتزام أي تبنى قضايا الحق والحرية، ومحاربة الظلم والاستغلال في العالم كله"[6] .

الالتزام أنه "اتخاذ رأي الأحداث التي يعيشها الكاتب على شريطه احتفاظه بحريته الفردية في الوقت نفسه، أي أن التزامه تحيطه أخلاقية، تمتد حتى تصل إلى جميع المسؤوليات البشرية عموما"[7]، ومن ذاك فالالتزام السارتاري يتأتى بحرية، ومن غير الزام فيتبع الأديب الأحداث الآنية في أعماله الأدبية ، بقلم مقتنع ، فهو من منظور الوجوديين "النقطة التي يلتقي عندها ويتواشح الفرادى والجماعة، وحيث يترجم

[3]بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، د ، ط ، 1984، ص 15.
[4]فائق مصطفى، عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات)، دار الكتب، جامعة الموصل، ط1، 1989، ص 50.
[5]بدوي طبانة، ص 17.
[6]فائق مصطفى، عبد الرضا علي، ص 50.
[7]عيد رجاء، ص 147.

الشخص بالأفعال للآخر، بين الاختيار الذي أقدم عليه ومن هنا فإن الالتزام ، يعود إلى افراز أخلاقي يريد الفرد عن طريقه أن يلائم بين فعله العملي، وبين قناعاته الحميمية ، مع ما في ذلك من مخاطر"[8]، فتنصرف دلالة الالتزام الوجودي إلى اتخاذ الأدب، وسيلة للتعبير في انشغال كامل عن الواقع الموضوعي فالملتزم عندما يكتشف معه وجود الآخرين "لأننا ندرك أنفسنا في مواجهة غيرنا ، لذا فالملتزم يلتزم لنفسه وللآخرين"[9]، ومن ثم يتحقق الالتزام لديه بالكشف عن موقف الذات من الوجود .

2 – 2 – دلالة المصطلح في المذهب الواقعي الاشتراكي :

أكدت الاتجاهات الواقعية للعلاقة الحتمية بين الفرد والمجتمع، فجعلت الالتزام مبدأ من مبادئها ، خاصة الواقعية الاشتراكية "واحتل استعمال هذه الكلمة في هذا المعنى منزلته بظهور ذلك المذهب المعروف بالواقعية الاشتراكية، الذي برز في هذا الزمان وبرزت معه الدعوة إلى الالتزام، وهي من تعاليم الواقعية الاشتراكية"[10]كما عبر عن "قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وأعلنت في عام 1945 قرارا خطيرا مؤاده الدعوة إلى التشديد في معاملة الذين لا يلتزمون بالواقعية الاشتراكية، ورأوا في هذا القرار أن كل عمل فني لا يساعد على انتصار الثورة الشيوعية إن ما هو ضد الأخلاق ويتنافى معها ، وأن ذلك يعتبر عملا اجراميا"[11]، فهي من هنا أخذت تقبح وترفض كل عمل أدبي تجاوز مبادئها وما وضعه حزبها ، وتضيق الخناق على غير الملتزمين بذلك.

إن قرارات الحزب الشيوعي "أوجبت على الكتاب أن يجعلوا انتاجهم الأدبي متوخيا نشر الشيوعية وتعليم الشباب مبادئها ، لأن الإخلاص للشيوعية والأخذ بتوجيه الحزب الشيوعي ، وخدمة الاشتراكية هي الشروط التي لا بد من توافرها في كل كاتب يريد أن يسير إنتاجه الأدبي على نهج الواقعية الاشتراكية"[12]، فالأديب الملتزم لديهم، يجب أن يحرص كل الحرص على معالجة القضايا الاشتراكية ، ويتبع ما وضعه وأرساه الحزب الشيوعي من قواعد، بغية الحفاظ على الخط الاشتراكي، "فألزمت الكتاب التعبير بالماركسية وعنها في أعمالهم ، ورأت في الأدب دورا عظيما يكاد يكون سلاحا في التوعية والتثقيف وهو صاحب رسالة ... وتريد من الأدباء المشاركة في الأحداث التي تجري والخوض فيها، وتبنى شعاراتها"[13]، فهي تحيل دلالة المصطلح إلى الانحياز التام للتعبير عن قضاياها ، وهموم ومشاكل كل الطبقة العاملة البروليتاريا بخاصة.

[8]بونوا دوني، الأدب والالتزام (من باسكال إلى سارتر)، تر: محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 38.
[9]عيد رجاء، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ، ط ، د ، ت، ص 141-143.
[10]بدوي طبانة، ص 16.
[11]عيد رجاء، ص 138.
[12]بدوي طبانة، ص 16.
[13]أبو سيف ساندي سالم، الرواية العربية وإشكالية التصنيف، دار الشروق، عمان، ط1، 2008، ص 81-82.

يتلون هكذا مفهوم الالتزام بلون الفلسفة التي يقوم عليها المذهب الأدبي، ولسنا معنيين هنا بتتبع دلالة هذا المفهوم بتفصيلوأبعاده وتحولاته لدى تلك المذاهب، بقدر العناية بتأكيد الرابطة القوية بين مفهوم الالتزام والمبادئ الفلسفية التي يقوم عليها المذهب الاشتراكي، وكل ما يتوالد في محاضنها من مفاهيم.

يعد الأدب الروسي أحد أغنى آداب العالم إسهاما في تاريخ الثقافة الفنية للإنسانية، فعكست أعمال مبدعية التجربة الحياتية للشعب الروسي ، وفي هذا السياق أعطت الأرض الروسية عددا غير قليل من عباقرة فن الكلمة ويكفي أن نشير في هذه المقدمة القصيرة إلى الروائي مكسيم غوركي ( ) "فغوركي لم يكن من مؤسسي الواقعية الاشتراكية فحسب، بل كان أيضا شديد التعاطف مع العمال والفلاحين والبائسين ، كثير التجارب والاحتكاك بالثائرين الاشتراكيين"[14]، فهو مساهم في وضع أسس وقواعد الفن الاشتراكي ، فغوركي كان يمثل على حسب تعبير **قسطنطين فيدين** "عصرا بأكمله ، وجيلا في مرآة عكست من خلالها التبدل التاريخي لعصرين متتابعين ،هذه الحياة كانت أو حياة لكاتب أعطت إلى أبعد الحدود ، ودون يستبقي منها شيئا إلى الطبقة العاملة في مرحلة نضالها وبعد انتصارها"[15]، فتجربته الأدبية كرسها لتبنيه المذهب الاشتراكي ، والدفاع عن الطبقة العاملة.

يلمع نجم رواية الأم (die mather) في سماء روايات مكسيم غوركي الصادر عام 1906 "إذ تعد الرواية النموذجية في الواقعية الاشتراكية"[16] و كانت الأم هي "واحدة من أكثر رواياته شعبية، وهي قمة كتاباته ذات المضمون الاجتماعي ... فهي خاتمة الفترة الأولى الرومانسية المضطربة ، من نشاط غوركي ككاتب وثوري"[17] فروايته نموذج للتيار الواقعي الاشتراكي، وتجربته الفنية عظيمة بلا حدود ، فاتخذت كنموذج يحتذى من بعدها في تطوير الآداب الغربية والعربية.

لا نغالي إن قلنا أن غوركي كان من أول الداعين لهذا المذهب والواضعين لمبادئه ، والناقلين لأفكاره في قالب مستساغ، وهذا ما خلف التزاما فريدا في روايته ، وذاك الذي نرومه في هذا المتن – الأم – الروائي المختار.

3 – الالتزام الواقعي الاشتراكي في رواية الأم

3 – 1 – الالتزام الاجتماعي:

إن الأدب مرآة المجتمع وثيقته ، ولما كان الأديب ابن بيئته منها يستمد موضوعاته التي تكشف الواقع بجلاء، فإن ذلك يلزمه أن يتفاعل مع مجتمعه ويسخر أدبه لخدمة قضاياه "فوقف **غوركي** مدافعا عن

[14]الرشيد بوشعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1996، ض 90.
[15]ماجد علاء الدين ، الواقعية بين الأدبين الروسي والعربي، دار رسلان ، سوريا، دمشق، جرمان، د ، ط، 2011، ص 28.
[16]الرشيد بوشعير، ص 91.
[17]مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي ، تر: صفوت عزيز جرجس، د ، ط ، د ، ت ، ص 178-180.

الطبقات المضطهدة ومدينا العالم الجشع المادي ومناضلا ضد الرجعية والسيكولوجية الاقطاعية الأنانية، وضد الفن البرجوازي"[18] فالوضع الذي آلت إليه روسيا من الحكم القيصري عبرت عنه رواية مكسيم من الناحية الاجتماعية، فوضعنا الروائي منذ مستهل روايته أما المكان الذي تجري فيه أحداث الرواية ، وهو ضاحية عمالية إذ يعمل به معظم الرجال والنساء والأطفال ، صغار وكبار فعمال الضاحية هو معمل يسود بداخله التسلط والظلم والفقر والحرمان المرعب، فاستنفذ جميع قواهم وراحتهم **وأحلامهم "استهلك المصنع النهار بأسره وامتصت آلاته من عضلاتهم وما تحتاجه من قوة ، ويمر جل اليوم على هذا المنوال... أناس انقبضت وجوههم وتجهمت وأنهار التعب عضلاتهم وأجسامهم**[19]، تلك اللوحة القاتمة والسوداوية عبر عنها السارد ونقلها، فلجأ إلى ما يلهيهم وينسيهم يومهم القاتم كمعاقرة الخمر والتسكع في الطرقات، لعلهم يجدون فيها فرحة وسعادة **"فيتقدم إليها العامل-الحانة- كونه يتوقع أفراحا وراحة فهي ملجأهم ومهربهم من منغصات الحياة"**[20] ، إن هذا الواقع المرير صوره غوركي ويتوجه إلى العمال الفقراء وواقعهم البائس والمظلم، بمقابل فئة يتطاولون عليهم، وينعمون في رخاء وترف .

إن هؤلاء الناس تعودوا على حياة الشقاء والخمول ، فيبدون مستسلمين لقضائهم ، غير مفكرين بمستقبلهم فلا يريدون أن يتغيروا ، وهذا الاحساس باليأس قديما قدم التعب الذي في عضلاتهم، فهم يرثونه عن آبائهم فرافقهم وكانت نتيجته قلق وألم وضيق ومصائب أكثر **"فكانوا يشتمون أبناءهم ويضربونهم بقسوة وزوجاتهم بعد سكرهم، فقد كانوا قد تعودوا أن تسحقهم قوة ثابتة لا يتوقعون تغييرا"**[21]، تلك هي الصورة التي ألفها العمال في حياتهم .

إن الروائي التزم بقضايا عصره وبواقعه السوداوي، الذي كانت الأسر الروسية ترزح تحت وطأته، فلا شيء يتردد في روايته سوى صافرة المعمل فيبدأ العمل بها ويختم عليها ، ثم يعود الأزواج مساء ليسقطوا همومهم على زوجاتهم بالضرب والعنف والسب، فعانت المرأة الروسية العنف الجسدي واللفظي ، واتخذ السارد المرأة "نيلوفنا" نموذجا لذلك، **"فالأم التي تحيا في سكون دائم من الضرب والصفع"**[22]فالأم عانت الاستغلال والآلام وعدم المساواة فأثقل كاهلها الهم ، وأرهق جسدها العمل القاسي نهارا، وعن زوجها ليلا. **"لقد عاشت على هذا المنوال عشرين سنة"**[23] تلك هي الوضعية السيئة للمرأة الروسية ، وما الأم نيوفلينا إلا نموذجا على ذلك .

[18]ماجد علاء الدين، ص 32.
[19]مكسيم غوركي، الأم ، تر: مرسي سيد مرسي، ص 05.
[20]المصدر نفسه ، ص 12.
[21]المصدر نفسه ، ص 14.
[22]المصدر نفسه ، ص 14.
[23]المصدر نفسه ، ص 27.

التزم غوركي بقضية اجتماعية أخرى في روايته لطالما مزقت عصره ، وهي العلاقة التناحرية بين الطبقة العاملة الكادحة المضطهدة وبين الطبقة الغنية المستغلة، التي تعاني من التسيد السلطوي والانقسام، وهنا يصفها الروائي فيقول: **"إن الكادحين يعيشون متحابين ويثقون ببعضهم لكن الأمر مختلف بالنسبة لنا إذ نكن لبعضنا البعض العداء، ولا توجد بيننا أية روابط"**[24] وهم يعتبرون العمال كآلات في معاملهم فيقول أحد شخوصه في هذه المسألة **"هل نظر إلينا أحد في يوم على أننا كائنات بشرية أبدا"**[25]، وهنا يتوضح الصراع القائم بين الطبقتين ، فالبرجوازية تحاول استعباد وإزالة كل واحد منهم دافع عن حقه في سبيل لقمة العيش، الذي يسعى لأجله البوليتاري.

3 – 2 – الالتزام السياسي:

إن زمن روايته كان زمن روسيا القيصرية، فعكست "الاضطهاد القيصري لفترة التي يتوضح فيها التناقض الصارخ، في المجتمع البورجوازي، وراحت العواقب الناجمة عن هذا التناقض تزداد بشاعة، الذي أدى فيما بعد إلى قيام الثورات الروسية ثورة 1905 وثورة أكتوبر 1917"[26]، فتناول غوركي في روايته تلك الظروف التي أحاطت بالثورة الروسية الأولى سنة 1905، وعكست أيضا القضايا السياسية لبلاده ضمن توجه اشتراكي واع.

جعل من روايته وسيلة للنضال فنقد فيها النظام الرأسمالي، وفضح أساليبه الاستغلالية ، وأدان فيها طرق استعباد العامل وقت روسيا القيصرية ، وواقعها السياسي المتردي، فتحدث عن نضال الكادحين وأوضاعهم المتدهورة ، جراء جور الحكام وأتباعهم ، فجاءت روايته نموذجا لمذهب الواقعية الاشتراكية ومثالا لنظرية الأدب الماركسية ، وعنها يقول عبد الرحمان منيف "من الأحداث الكبرة والعامة في هذا القرن قيام أول تجربة اشتراكية في العالم، ولقد كانت هذه التجربة نتيجة ثورة عارمة هي ثورة أكتوبر ، الذي يساهم في قيامها الاحتقان الطويل الذي عم روسيا القيصرية خلال عقود متوالية"[27] ، فتكون روايته ملتصقة بواقعه السياسي، التي ما أنفكت تبحث عن حلول للخروج بالإنسان الروسي من واقع القهر والمعاناة فروايته وفية ملتزمة بالعصر، لاصقة بهموم الفلاح الروسي ومشاكله وتطلعاته.

وقف غوركي موقف الملتزم بدفاعه عن الطبقات المضطهدة ، وناقما على الجشع المادي البرجوازي ، مهاجما أخلاقهم التعسفية على العامل الفقير، إذ يعبر أحد شخوصه في ذلك **"إن لم تعودوا إلى العمل في**

[24] المصدر نفسه ، ص 53.
[25] مكسيم غوركي، الأم ، ص 84.
[26] فؤاد المرعي، مدخل إلى الآداب الأوروبية ، جامعة حلب، سوريا، ط2، 1986، ص 222.
[27] عبد الرحمان منيف، بين الثقافة والسياسة، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 77.

دقائق سأصدر أمري بتوقيع الغرامة عليكم جميعا"[28] فالمعمل إحدى وسائل القمع الذي تجهد به أرواح العمال، وتستنفذ طاقاتهم، فأصحابه قساة متعطشين إلى عروق العمال، فيعيشون بذلك تشبعا سلطويا **"فهؤلاء الناس ليسوا كائنات بشرية ، بل طين يصلح أن يكون ملاطا للحجارة"**[29]، كل هذا جراء الأنظمة السياسية الموحشةالمطبقة من قبل أجهزة السلطة على اختلاف أشكالها، المسقطة على العامل البسيط ، الذي صادق وأن عاش فترة تاريخية، مزقتها أيادي الاستغلال والاضطهاد والتسيد.

3 – 3 – الالتزام الانساني/القيمي:

يعد غوركي من أهم كتاب الواقعية الاشتراكية في روسيا في القرن العشري، فقد آمن بالإنسان وحريته وقضيته العادلة ودعا إلى السلام والمحبة ووهب نفسه في سبيل ذلك ، وقد عكست روايته الأم رؤيته الإنسانية والأيديولوجية الاشتراكية "فأكد غوركي على أن الأفكار الاشتراكية لا تقهر ، وأن العامل المثل الكادحين الذين يمتازون بأخلاقهم العالية ، وبشعور التضامن والتعاطف فيما بينهم ، والتكاتف والتعاون المتبادل ، وتمتاز الطبقة العاملة بكثير من الميزات الرائعة ، بما في ذلك المثل الأخلاقية، التي تساهم في تربية الإنسان الاشتراكي الجديد المتحلي بالقيم الانسانية الرفيعة"[30] فآمن غوركي بقدرات الإنسان الكامنة في سبيل تحقيق الخير والسلام.

انطلاقا من إيمانه الاشتراكي، سعى في روايته إلى معالجة قضايا إنسانية التي تشع بروحه الإنسانية، فعالج قضايا إنسانية تمثل الفرد والمجتمع بل العالم بأجمعه ، وكلها تصب في مجرى العدالة والسلام، فآمن بنصرة الإنسان الاشتراكي وبأخلاقه العالية ، و الطبقة الكادحة هي المنتصرة ، وقد ميزها الروائي بصفات رائعة إذ يقول على لسان أحد شخوصه "أندري ناخودحا" : **"بالنسبة لنا لا نفرق بين قوية وأخرى أو قبيلة وقبيلة... جميع العمال رفاق لنا ، والأغنياء والحكومات الظالمة أعداؤنا"**[31]، فالنصر يحققه التضامن الذي يبرز في أشكال عدة منها ، التعاون أثناء توزيع المنشورات والكتب والكراسات ، وكل ذلك حسب مبادئ الواقعية الاشتراكية ، القوة الأساسية في تغيير المجتمع، وروحهم الإنسانية الجمعية تقودهم للنضال ، فصورهم غوركي في لحمة واحدة وكتلة وصوت واحد، وهذا ما يعكسه القول الآتي **"إننا عائلة واحدة من الأصدقاء الذين يجمعهم رباط واحد ألا وهو النضال من أجل حقوقنا"**[32] ، فإنسانية العامل البسيط ، منصهرة في الضمير الجمعوي ، الذي يقودهم للفكر الاشتراكي الثوري البرولتياري ومن هنا يبرز التزامه الإنساني ، إذ عمم تلك الرؤية على شرائح العمال في باقي الأوساط والمجتمعات ، وفق

[28]مكسيم غوركي، الأم ، ص 88.
[29]المصدر نفسه ، ص 90.
[30]ماجد علاء الدين، ص 40.
[31]مكسيم غوركي، الأم، ص 47.
[32]المصدر نفسه ، ص 85.

رؤية اشتراكية مؤمنا ومتشبعا بها في سبيل تحقيق النصر لشعبها ، وفي ذلك يقول أحد شخوصه روايته "نيكولاي إيفانوفيتش" **: "يا لهم من أناس طيبين ، العمال الشباب الشجعان المتعطشين لإدراك واستيعاب المفاهيم الجديدة، تنظر إليهم وترى أن روسيا ، تصبح أكبر دولة ديموقراطية"**[33].

إن غوركي بين في روايته كيف ساهم في تربية الإنسان الاشتراكي الجديد، المتحلي بقيمها والقيم الإنسانية المجيدة ، فأسقط سمات نبيلة على شخوصه منها التضحية من أجل المصلحة العامة، فعلى سبيل المثال نجد بافل ، الذي تحمل المسؤولية والمخاطرة في قراءة الكتب الممنوعة **"لأنها تقول الحقيقة عن العمال ، وهي تطبع في الخفاء"**[34] وإن وجدوها لديه سيسجن ويعذب ، كل ذلك من أجل المصلحة العامة المشتركةكم صور في روايته الأم نيلوفناهي أم للجميع باختلافهم ، لكنها جمعتهم في غرفة واحدة ، يجمعهم هدف واحد ، فولدت الحب في قلوبهم ، وكيف يكون الناس رفاقا دون أن يلتقوا ببعضهم البعض ، فأحبوها بعقولهم وقلوبهم، ووجدوا فيه العطف والدفء ووجدوا فيها أمهاتهم فأصبحوا ينادونها بألفاظ (أماه، أمنا، أميمة، أم) ومن هؤلاء (أندريه ياخوركا، ساشنكا، صوفيا، ناتاشا ، صموئيلوف) وقد سار كتمهم فيما بعد، الكفاح الإنساني فكانت منتجة إيجابية فاعلة في القضية السامية ، وترجمت ذلك إلى مواقف متنوعة في الرواية .

3 – 4 – الالتزام الثوري:

إن الظروف السياسية التي عانت منها روسيا زمن الحكم القيصري والذي عانت من جرائه العمال، فجاءت رواية مكسيم غوركي الأم، لتصور الإنسان البوليتاري العظيم "فتعاطف غوركي مع الحركة العمالية فغوركي والثورة الاشتراكية يشكلان وحدة عضوية فصار معبرا عن الطموحات الفنية عند جماهير الشعب غوركي هو الشعب نفسه"[35]، ووفق هذا الوصف والاهتمام والإدراك بالنصر يقربنا شيئا فشيئا مما التزم به.

جعل الروائي شخوصه تدرك بأن من سبل التغيير والثورة الوعي والقراءة والإيمان بالقضية ونصرها فالوعي يوحي بإدراك الشخوص بواقعهم السوداوي الذي يوجب عليهم الثورة والتغيير على أنفسهم أولا، والآخر المعتد الأثيم لتجاوز الظلم والطبقية ، والأمل بحياة ملؤها هناء وراحة ، فبدت شخوصه واعية وذلك في قول إحداها **"نحن العمال يجب أن ندرس، ويجب أن نفتش عن أسباب العناء في حياتنا"**[36]، ومن هنا تومض شعلة البحث عن أسباب الشقاء والعناد.

[33]المصدر نفسه ، ص 63.
[34]المصدر نفسه ، ص 19.
[35]ي غروموف، الواقعية الاشتراكية (المنهج والأسلوب)، تر: عدنان مدانات، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1975، ص 38.
[36]مكسيم غوركي، الأم ، ص 21.

آمن غوركي بالمبادئ الاشتراكية وبالطبقة البروليتاريا "فأبرز سمات الطبقة العاملة التي تؤمن ليس بتحرير نفسها من القهر والعبودية فحسب بل تحرير كل الإنسانية من الظلم والاستغلال"[37]، فراح مؤمنا بها وبقدراتها الكامنة ، التي تشع بالنصر والنضال إلى الثورة، منطلقة بالقراءة الواعية والتي بدأت مع بافل فلاسوف في الصفحات الأولى من روايته **"فبدأ بافل يحمل معه كتبا، للدكان يقرأها خفية ويخبئها عندما ينتهي في حرز أمين، وفي بعض الأحيان ينسخ شيئا من أحد تلك الكبت"**[38] ففي تلك الكتب وجد الأفكار التي تقوده لغايته ، وبالقراءة نمى وعيه الثوري فتغيرت أقواله وأفعاله ، وأصبح مدركا أكثر بالواقع المظلم الذي يعيشه مؤمنا بتغييره نحو الأفضل.

أثر بافل بكلماته الثورية وعباراته النضالية في أمه ، ما أيقض روحها الثورية كما اثرت فيها تلك اللقاءات والاجتماعات **"فعرفت أن الناس ليسوا أغبياء ، وليسوا حيوانات تقاد وتستعبد ، وأن المرء عليه أن يعيش حياته ككائن بشري"**[39]، كل ذلك نجم عن ما تسمعه في اللقاءات فترجمة وعيها الثوري إلى أفعال تنم عن روحها النضالية ، فلطالما كانت تخفي الكتب والصحف والمنشورات التي كانت تقرأ وتوزع ، من قبل ابنها بافل وأصدقاؤه والعمال، كما أن موقفها الثوري يظهر في مشاركتها في احتفال أيار الذي خطط له بافل وأندريه ، فاتهمها ميرونوف بقوله: **"أتنظمين للعصيان؟ تجيبه لابد لي أن أسير مع العدالة، ولو مرة واحدة قبل أن أموت"**[40]، إضافة إلى أنها كانت توزع المنشورات والكتب على العمال والفلاحين في القرى والمصانع والمداشر.

واصلت الأم عمل ابنها بافل ورفاقه الذين سجنوا بسبب ما آمنوا به، وإعلانهم التمرد والثورة على الظلم والقهر ، فترفع الراية الحمراء بعد إلقاء القبض على ابنها، التي كانت تحمل أسماء الكثير ممن نادوا بالتغيير ، فتتولى القيادة وتقول للجماهير: **"ينبغي علينا متابعة العمل، لا من أجل قضيتنا ، فحسب بل يجب أن ننقذ رفاقنا"**[41]، فهي لا تريد للمسيرة ولا للقضية أن تفشل ، فحثت الجميع على المواصلة في مسيرتهم فكانت توقظ الوعي الثوري في القرى والأرياف ، وأصبح ذلك عملها متنكرة بأزياء عدة متمسكة بالقضية أكثر.

فمكسيم غوركي آمن بالنضال والكفاح، في سبيل تحقيق العدالة والمساواة والتزم بمبادئ الواقعية الاشتراكية ، التي ترى بأن الطبقة البروليتارية قادرة على ذلك ، ما دامت يد وكتلة واحدة، وهذ ما أثبته التزام الروائي "فقدم في روايته الأم البروليتاريا الصاعدة، على أنها المهمة الأساسية في النشاط الثوري

[37]ماجد علاء الدين ، ص 40.
[38]مكسيم غوركي، ص 16-17.
[39]المصدر نفسه ، ص 42.
[40]المصدر نفسه ، ص 260.
[41]المصدر نفسه ، ص 98.

والبروليتاريا بالتعاون مع جماهير الفلاحين والمثقفين والثوريين، والقوى المسلحة للسير للنصرالأكيد"[42]، ذاك ما آمن به غوركي .

3 – 5 – الالتزام المذهبي:

تظهر رواية الأم الإتجاه الأدبي الذي يتمثله غوركي وهو المذهب الواقعي الاشتراكي ، كما تظهر اعتناقه للأفكار الاشتراكية مستوعبا كل أفكارها ملتزما بقواعدها ، مركزا على طبقة العمال البروليتاريا، فبلور المفاهيم الإيجابية المتمثلة بالإيمان بقدرات الفرد الكامنة على التغيير من خلال أهداف الجماعة ، فعكست روايته الاتحاد الاشتراكي وهذا ما جاء في قول إحدى شخوصه "ساشنكا" : **"نحن الاشتراكيون"**[43]، فكلاهما يوحي بأنهم كتلة ولحمة واحدة ، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وثقافاتهم، فتطور وعيهم بالثقافة الاشتراكية فأدرجوا توحدهم في سبيل غاياتهم **"إنهم يعيشون في كتلة، يستطيعون معها أن ينصهروا في كتلة العمال الموحدة"**[44]، فبتلاحمهم وتعاضدهم أدركوا واقعهم البائس .

فتلاحمهم ذاك في حقيقته من أهم مبادئ الاشتراكية الذي يصب في مصلحة الجميع، وتحول نشاطهم العضلي إلى سياسي فكري، فعكست روايته قضية النضال الاجتماعي للعمال، ونشر الأفكار الاشتراكية مثل أفكار التوحيد النضالي العمالي من أجل المستقبل، وفي ذلك يقول "أندري ناخودكا": **"هاي يا شعوب جميع البلدان، اتحدوا في عائلة واحدة"**[45]، وقوله يوحي بالقوة الاشتراكية وهذا ما يوضحه قول بافل: **"نحن اشتراكيون ، نريد أن نناضل وسوف نناضل ، ضد كل أشكال الاستعباد الجسدي والأخلاقي"**[46]، فنضاله سيكلل بالنصر حتما ما دامت قضية سامية.

خاتمة:

نستخلص من الدراسة السابقة الوجيزة جملة من النتائج أهمها:

- إن الأديب الاشتراكي الواقعي لا يكتب لنفسه، بل للشعب والواقع وغايته أن يبث الوعي والمعاني الإنسانية التي تحقق التقدم والتجديد في القيم الاجتماعية.
- تحيل الواقعية الاشتراكية دلالة المصطلح، إلى الانحياز التام للتعبير عن الهموم والقضايا الاجتماعية للطبقة العاملة البروليتاريا.
- الفنان الاشتراكي الملتزم حتما، جزء من عملية البناء الشيوعي.

[42]ماجد علاء الدين، ص 38-39.
[43]مكسيم غوركي، ص 137.
[44]المصدر نفسه ، ص 449.
[45]المصدر نفسه ، ص 449.
[46]المصدر نفسه ، ص 450.

- عبر غوركي عن التزامه بواقعه وقضايا أمته، من خلال رؤاه الفكرية وتأثيث دلالات تنضح بالإنسانية والقومية، لترسيخ قيم الاشتراكية والثورة والتغيير، كل ذلك عبر ملهمته الأم.

المصادر والمراجع:

المصادر:

01 مكسيم غوركي، الأم ، تر: فؤاد أيوب والمحامي سهيل أيوب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2،

المراجع:

01 نيس حسام النعيمي، الالتزام والإبداع الفني في الشعر الإسلامي المعاصر ، دار مجدلاوي ، عمان، ط1، 2014.

02 بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، د ، ط ، 1984، ص 15.

03 فائق مصطفى، عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات)، دار الكتب، جامعة الموصل، ط1، 1989.

04 بونوا دوني، الأدب والالتزام (من باسكال إلى سارتر)، تر: محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

05 عيد رجاء، فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ، ط ، د ، ت.

06 أبو سيف ساندي سالم، الرواية العربية وإشكالية التصنيف، دار الشروق، عمان، ط1، 2008.

07 الرشيد بوشعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1996.

08 ماجد علاء الدين ، الواقعية بين الأدبين الروسي والعربي، دار رسلان ، سوريا، دمشق، جرمان، د ، ط، 2011.

09 مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي ، تر: صفوت عزيز جرجس، د ، ط ، د ، ت.

10 ي غروموف، الواقعية الاشتراكية (المنهج والأسلوب)، تر: عدنان مدانات، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1975.